الجزء الثاني

عصام بشير العوف

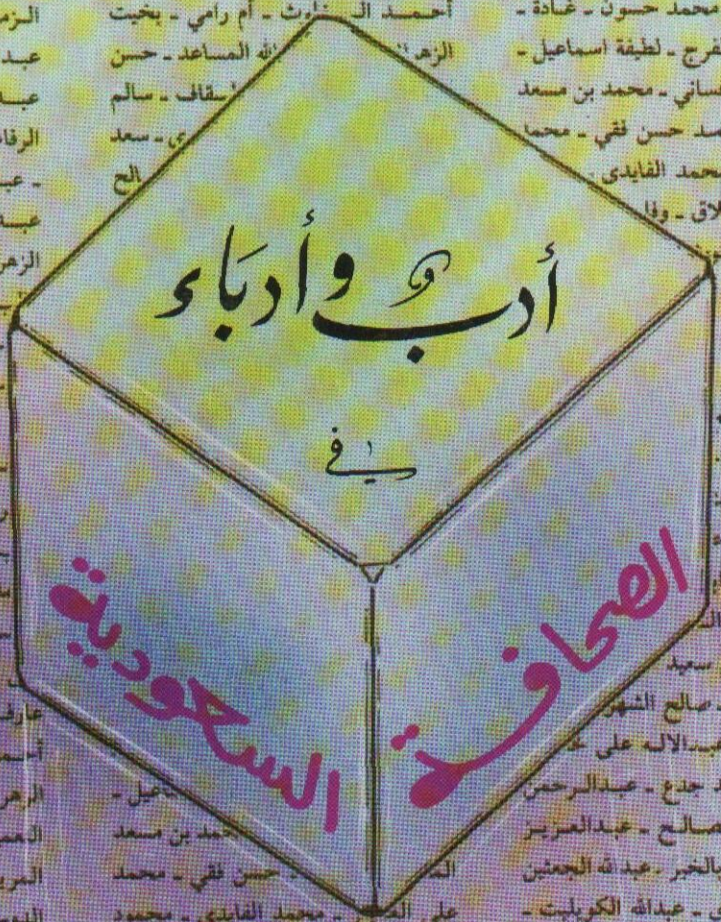

أدب وأدباء
في
الصحافة السعودية

أحمد المغلوث
أم رامي
بخيت الزهراني
جهير عبدالله المساعد
حسن النعمي
خيريه ابراهيم السقاف
سالم المريشيد
سعد الثوعي الغامدي
سعد الدوسري
سليم سعيد الهلابي
صالح جمعان الغامدي
صالح الشهوان
طاهر الزمخشري
عبدالاله علي خلف
عبدالاله محمد جدع
عبدالرحمن عبدالمحسن الصالح
عبدالعزيز الرفاعي
عبدالله بالخير
عبدالله الجعثين
عبدالله الجفري
عبدالله الكويليت
عبدالمحسن حليت مسلم
علي الزهراني
علي محمد حسون
غـــــادة
غالب حمزة أبو الفرج
لطيفة اسماعيل
محمد أحمد الحساني
محمد بن مسعد المشعان
محمد حسن فقي
محمد علي العمير
محمد الفايدي
محمود عارف
منى شبلاق
وفاء حسن منور

أدب وأدباء في الصحافة السعودية

عصام بشير العوف

جميع حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م

الإهـــداء

إلى حـبة رمـــل عطـشـت
ونبتة خضـــراء أينعـت
وكل سـاعد سـاهم في رفع البناء
في الوطـن الغالـي

إلى من استظل بقصيـدة حـب
ومن وجـد ذاته في مقـال وجداني
إلى كل من عشق الحرف والكلمـة
إلى كل أديـب وناقـــد

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الجزء الثاني ـ القصة القصيرة	١٥
مقدمة	
الفصل الأول : القصة الاجتماعية	١٧
البند الأول : أحمد المغلوث	١٧
البند الثاني : أم رامي	٢٥
البند الثالث : وفاء حسن منور	٣٣
الفصل الثاني : الرواية الموجزة	٤٥
البند الأول : غالب حمزة أبوالفرج	٤٥
الفصل الثالث : القصة المبهمة	٥٥
البند الأول : حسن النعمي	٥٥
البند الثاني : عبدالله الكويليت	٦٣
البند الثالث : سعد الدوسري	٧١
الفصل الرابع : القصة الغنائية	٨٣
البند الأول : سعد الدوسري	٨٣

الجزء الثانى

القصة القصيرة :

لم يعرف العرب القصة القصيرة بمفهومها الحالي، غير أن القصة عموما، عرفت بأسماء مثل الخبر والسمر والحديث، كما لم يعرف العرب القصة المكتوبة إلا من خلال القصص القرآني، التي أطلع الله تعالى رسوله الكريم وعباده المؤمنين بأخبار الأمم الغابرة وقصص الأنبياء عليهم السلام. وقد عني العرب بالقصص القرآني وتفسيره وتدوينه بأساليب مختلفة، وفي العصر العباسي اتسعت القصص العربية والمترجمة، وقد دون ابن النديم الكثير منها، كما ظهرت القصص بثوب جديد مع كتاب «كليلة ودمنة» لابن المقفع، والقصص التي حوتها كتب الجاحظ. ثم ظهرت المقامات وهي تشبه القصة إلى حد بعيد، غير أن المقامة أكثر عناية بالمحسنات البديعية، وقد غلبت هذه المحسنات على موضوع المقامة ذاته وقد اشتهر بها الحريري وبديع الزمان الهمذاني، وقد ظهرت القصة مع اتجاه الناس وسعيهم لمعرفة القصص الشعبي وفي مقدمتها «ألف ليلة وليلة».

عرفت اللغات الأخرى الفن القصصي أيضاً، غير أن القصة القصيرة بمقوماتها المعروفة قد ظهرت لأول مرة في أمريكا مع الكاتب أدجار ألان بو، وفي فرنسا مع الكاتب جي دي موباسان، ثم ظهر عدد كبير من كتاب القصة في الغرب وذلك في القرن التاسع عشر الميلادي.

ولابد من الاعتراف أن اللغة العربية قد اقتبست هذا الفن من اللغات الأخرى. وقد برز عدد هائل من كتاب القصة في جميع البلاد العربية، كما تجمع في الأدب العربي الحديث كم كبير من القصص، وإن كانت الترجمات قد نقلت إلينا مقومات القصة القصيرة الغربية، وقد تبناها

واعتمدها أكثر كتاب القصة العربية، فقد تطورت القصة عندنا وأصبحت مختلفة عن القصة الغربية لها كيانها الخاص ومقوماتها المستقلة، كما اتخذت موضوعاتها من واقعنا وأحاسيسنا ومشاعرنا، وغدت فناً يروده الأدباء العرب واحتلت بذلك القصة القصيرة مكاناً بارزاً في الأدب العربي الحديث.

وقد كتب الأدباء السعوديون القصة القصيرة وأصبح لها روادها. وقد عنت القصة السعودية عموماً بالأمور الاجتماعية التي تعبر عن واقع المجتمع السعودي بمختلف فئاته، كما دخلت القصة البيوت والأسر لتعالج قضايا الزواج والطلاق والحب والعمل وقضايا اجتماعية أخرى مصورة المجتمع بأسلوب واقعي تأثيري، يعتني بالشخصيات والغوص في أعماقها الانسانية، وقد ظهر عدد غير قليل من الكتاب، ممن يتهافت القراء على شراء قصصهم المنشورة في كتب خاصة بعيداً عن الصحافة، غير أن الصحف قد عنت بنشر القصة القصيرة على صفحاتها، وبالطبع فقد اكتفيت باختيار النماذج التى نشرت في الصحف السعودية لأبيِّن مدى عناية الصحافة بالقصة أو تعاون الأدب والصحافة بشكل عام.

الفصل الأوّل

القصة الاجتماعية

البند الأول :

الرياض

احمد المغلوث

١/ ١/ ١٤٠٦هـ الموافق ١٥/ ٩/ ١٩٨٥م

اغفاءة لذيذة

مدت يدها الناعمة وتناولت كوب الشاي (بالنعناع) وأخذت تشرب بتلذذ واضح وتتأمل الغرفة من حولها . . الأثاث الفاخر، الأجهزة الكهربائية . . التلفزيون . . الفيديو . . حتى الثلاجة موجودة في غرفتها التي باتت عبارة عن منزل صغير متكامل . . كل هذه الأشياء لم تكن تحلم بها يوما ما . . وأشياء أخرى تجعلها تفكر جدياً . . اغمضت عينيها الواسعتين وراحت تفكر عميقا بما انتهت إليه . . وفيما مضى من حياتها . . يالله ما أسرع الأيام . . وما جدوى هذا كله بدونه، بدون حلمها وبهجتها وسعادتها . . ماذا فعلت ليتركها ويتزوج أخرى . . هكذا ببساطة تزوج دون أن يتقدم لها . . حتى التبرير لم يتكرم بصفعها به . . ترى هل تستحق منه كل هذا . . عندما سمعت خبر خطبة لم تصدق في باديء الأمر . . آه لو كانت تحدثت اليه هاتفياً . . لو عرفت منه السبب . . بالطبع لم تكن تستطيع . . العادات والتقاليد!! . . ماذا تفعل إذن، هل تستمر في البكاء . . وكلما تذكرته تبكي . . وعندما كانت تسمع أخباراً من هنا وهناك، كانت دموع غزيرة تنساب في أعماقها . . دموع داخلية . . آه . . ماذا فعلت يا ربي حتى أتعذب هكذا بدونه . . قالتها بينها وبين نفسها وهي تسحب تلك الأوراق الوردية من تحت وسادتها . . إنها كلماته . . مازالت عذبة وموحية رغم السنوات العديدة التي مضت عليها . . كانت هذه الأوراق أشبه ما تكون بأبنائها إنها تحس نحوهم بحنان خاص وغريب في نفس الوقت . . كيف لا تكون أبناءها . . أوليست منه . . ألم يخطها بقلمه الرائع . . ألم تكن هي

الباعث والمسبب لكنايتها مزيجاً مشتركاً بينهما كانت . . أحس بالراحة حينما وصلت إلى هذه النتيجة . . أوراقه ورسائله وكلماته . . هي أيامي الآن . . رفعت خصلة شعرها الفاحم التي لامست الأوراق كأنها تريد تقبيلها . . تغرق معها في قبلة طويلة طويلة جداً . .

اعتدلت في جلستها واضعة يدها خلف رأسها والأخرى ممسكة بالأوراق . . تنفست بارتياح عندما تذكرت أنه ما زال كما يقولون يحبها . . ويتطلع إلى الزواج منها . . غير معقول ما سمعته حينها . . تذكر أنها قهقهت بشدة عندما أخبروها عن ذلك .

سخرت منه أمامهم . . ولكنها في الداخل في أعماقها كانت تريده ، نعم تريده . . ومع هذا لا تستطيع أن تقول ذلك . هل تقبل أن تكون لها ضرة شريكة . . أم أنه سوف يطلق زوجته أُم أولاده .

. . ربما . . وربما لا . . إنها لا تتصور وهي المتعلمة المثقفة أن يكون لها شريك فيه . . مجرد تخيل ذلك يقلقها . . ومع هذا هناك أكثر من فتاة في مجتمعها تزوجت على ضرة؟! . . خيل إليها أن تبريرها سخيف وأن التفكير في التبرير اسخف . . انها لا تستطيع أن تفعل فعلهن . . ماذا تقول لصديقاتها . . هل تناقض أراءها العديدة التي تعودت أن تطرحها أمامهن بين فترة وأخرى . . ودت لو أنها لم تتحدث في مثل هذه المواضيع الحساسة . . خاصة أمام صديقاتها . . سنوات وسنوات وهي مازالت تنتظر أي حادث جديد . . أن يتقدم لها أحدهم . . وتقدم الكثير ولكن النصيب كما يقولون لم يصب . إنها في عقدها الثالث الآن وبعض الغضون بدأت تزحف حول عينيها ، حتى ذلك البهاء الذي كان علامة لوجهها الجميل تحسه جامداً لا يرسل النور الآن . . كانت تقضي الوقت بعد عودتها من عملها في النوم والزيارات وبعض المشاركات

الاجتماعية . . وكانت تعتكف في غرفتها ساعات كاملة . . وأحياناً تسأل نفسها ما فائدة كل هذا . . العمل . . الفلوس . . اسم العائلة . . إذا كان لا يستطيع أن يعطيها هذا الشيء المثير . . الزواج . . الزواج من رجل حقيقي . رجل على الأقل أفضل منه . . نعم انها الحقيقة تريد افضل منه هذا الذي تركها ودفعها الى الاحباط . . اصعب شيء على الانسان أن يتركه أحدهم . . يتساوى في ذلك الرجل والمرأة . . ويشيع في كيان الواحد أو الواحدة شيئاً من القلق الغامض . . ولكنها الآن تغالط نفسها إنها تغفر له كل شيء . . إنها تريده . . مازال يسكن في أعماقها هكذا كان في الماضي ، وهكذا هو الآن .

لماذا تحزن . . لماذا تقلق . . يجب أن تخلع عن وجهها هذا القناع الزائف . . ان تكشف عن حقيقة عواطفها تجاهه وان تقبل به بشجاعة . . صديقاتها ، معارفها سوف يتحدثن عنها فترة قصيرة وبعدها تعود الأمور كما كانت . الآن الأشياء يتحدث عنها الناس في وقتها وبعد ذلك ينساها البعض والبعض الآخر يتناساها هكذا هي سنة الحياة . . لماذا تتردد . . لماذا لا تقبل به ، هل يكون مرة أخرى لفتاة أخرى . . لماذا لا تكون هي هذه المرة . .

إنه سوف يتزوج . . سمعت أكثر من مرة أنه يبحث عن زوجة ولكنه يفضلها هي . . نعم هي . . (لم يتلاءم نجمه مع نجم زوجته كما يقولون) . . اهتزت الأوراق جانبا . . احست بأن كيانها يرتخي ارتخاء لذيذاً . . وشيئا من الحذر والراحة تنعش نفسها المرهقة . . هي ذي اللحظة الصادقة آه لست استطيع اخفاءه . . مدت ساقيها . . احسنت من وضع الوسادة تحت رأسها . . وبحركة عفوية تناولت الأوراق ووضعتها على صدرها . . وراحت في إغفاءة لذيذة .

قصة قصيرة، ويتخيل المرء لأول وهلة أنها خاطرة أو مجموعة خواطر متلاحقة، غير أن الكاتب قد عرض قصته بأسلوب جذاب، فبطلته فتاة أحبت حباً ملأ كيانها عطفاً ومودة وإخلاصاً، وبدون سبب تزوج حبيبها غيرها. أما هي فقد بقيت على إخلاصها، وقد استطاعت تأمين كل شيء في منزلها من أثاث فاخر وبالرغم من ذلك فما زالت تشعر بالفراغ والوحشة. وعلمت أنه ما زال يحبها، ويريد الزواج منها، وبالطبع لن تقبل أن تكون زوجة ثانية أو ضرة، وآراؤها التي كانت تقولها أمام صديقاتها تؤيد عدم الموافقة على هذا النوع من الزواج. ثم واجهت نفسها بصراحة، بأنها مازالت تحبه حتى الآن، وما زال يعيش في أعماقها، وقبولها به زوجاً سيجعل صديقاتها يتحدثن لفترة قصيرة، وتمنت لو أنها لم تتحدث في مثل هذه المواضيع الحساسة غير أن الأمور ستسير على ما يرام، وإذا لم تقبل به فستتزوجه إمرأة أخرى «فلم لا أكون أنا» ثم راحت في إغفاءة لذيذة.

قصة ذاتية صميمة، ويبدو أن الكاتب يريد تأييد تعدد الزوجات وأن على النساء أن يقبلن به، والمأخذ الوحيد على الكاتب، أن القارىء في بداية القصة، يظن أن البطلة هي زوجة قد تزوج عليها زوجها، وتشعر بالوحشة من دونه، غير أنه سرعان ما يكتشف ما يريد الكاتب. وتمثل هذه القصة اتجاها عرفه كثير من كتاب القصة القصيرة في العالم العربي، فالمقدمة تمتزج مع عرض القصة وعقدتها والحل كذلك، وهو أسلوب ليس بالسهل، وقد استعمل الكاتب كل ما يحيط بالبطلة من

أشياء ليبين للقارىء الحالة النفسية والعاطفية التي تعتلج داخل ذاتها، وقد حاول من خلال الغوص في أعماق ذاتها، معالجة قضية الزوجة الثانية وجهة النظر النسائية. أسلوب الكاتب جاء عفويا في الوصول إلى عقدة القصة وفكرتها. أما عباراته فقد كانت مرصوفة بوعي وإدراك، وظهرت من خلال ألفاظه وتلاحق تعابيره، إيقاعية الشعر الحر أحياناً، وقد اختار عنوان قصته معبراً عن أحاسيس بطلته عبر «إغفاءة لذيذة».

البنـد الثاني:

أم رامـــــي ـ المدينة

١٩/ ١١/ ١٤٠٥هـ الموافق ٥/ ٨/ ١٩٨٥م

تبدو أمارات التعب والارهاق واضحة على وجهك هكذا قال لي زوجي ونحن نتناول طعام الغداء بعد عودته من العمل وقبل أن أجيب سمعت مي التي كانت تجلس علي يميني تقول «ماما أريد مزيدا من المعكرونة» سكبت في صحنها قليلا منه وأنا أشدد عليها أن تأكل اللحم الموجود مع المعكرونة ثم عدت لأجيب زوجي قائلة «كان يوما حافلا بالأعمال المنزلية ثم لا تنس أن مي ورامي في الإجازة الصيفية وهذا يتطلب جهدا اضافيا اوجهه إليهما ، أبذله في الأيام المدرسية حيث يكونان في المدرسة يتركان لى الصباح كله لاتفرغ للأعمال المنزلية فقط» قاطعني رامي ليحمد الله ويقول انه قد شبع ولأجيبه قائلة «حسنا بامكانك بعد أن تنظف يديك وفمك أن تذهب إلى غرفتك لترتاح قليلاً بانتظار ان يبدأ التلفزيون بث برامج الأطفال «لحقت به مى بعد قليل وبقينا أنا وزوجي حول المائدة وعندها قال لي زوجي «ما رأيك في إجازة أسبوع أو عشرة أيام نذهب فيها أنا وأنت وحدنا إلى أي مكان هادىء ترتاحين فيه وتجددين نشاطك خصوصا وأنت تعلمين أنه لا يزال عندي رصيد من إجازتي السنوية؟» .

نظرت إليه متسائلة «أنا وأنت وحدنا؟ وماذا عن رامي ومى؟» أجاب أبورامي ضاحكاً «لا تخافي عليهما كل هذا الخوف سوف نتركهما في رعاية أمي وأنت تعرفين انهما يحبان صحبتها وأنها هى أيضا تحبهما وترحب باقامتهما معها خلال فترة سفرنا» رجوت أبا رامي أن يرجىء هذا الحديث الى وقت آخر فوافق شرط أن أسرع

استقـلاله عنها أمراً صعباً جداً قد يشقيه لفترة من الزمن» تفاعلت كلمـات أم زوجي في نفسي ووجدتني اقتنع وارحب بالفكرة ومن منطلق صالح رامي ومي أولاً وأخيراً.

عرض عليها زوجها السفر معه دون أطفالهما، ليرتاحا معا، ولتجدد نشاطها، وفكرت بالأولاد وكيف ستتركهم، وتستمتع بعيداً عنهم، غير أن والدة زوجها أقنعتها بالفكرة، لأن فراق الأطفال ربما يحدث اضطراريا، فلم لا تعتاد عليه في الحالات العادية، ليصير طبيعياً. تلك هي القصة، وتبدو أنها بسيطة، غير أن الكاتبة استطاعت الغوص في أعماق بطلتها مما ذكرته عما حولها من جزئيات.

القصة ظاهرة المعالم من حيث المقومات الفنية. كما أنها واضحة الفكرة. فمن خلال تسلسل الأحداث والأفكار تقدم الكاتبة صورة عن عائلة متزنة، يعرف كل فرد فيها موقعه واهتماماته، وإذا دارت الفكرة أولا وقبل كل شيء، حول موضوع سفر الوالدين للاستجمام دون الأولاد، فهي كذلك تعطي صورة عن الحياة الهادئة التي تتمناها كل أسرة.. طريقة تبادل الكلام بين الأم وأطفالها تؤكد حسن العلاقة والثقة فيما بينهم، كما أن اقتراح الزوج بالسفر يعبر عن عمق المودة التى يحملها لزوجته، أما تردد الزوجة، فهو دليل على مدى اخلاصها لأمومتها ولبيتها. تلك الأفكار الجزئية التي ظهرت في القصة، تساهم في خلق نوع من الحياة والحركة والنشاط. كما أن علاقة الحماة بزوج ابنها مبنية على التفاهم والمودة والاحترام، وهذا ما جعل موضوع ترك الأولاد في رعايتها في غياب الزوجين دون سبب ضروري الا المتعة والاستجمام. ولابد هنا أن هذه العائلة مثالية إلى حد بعيد. وقد تجاوزت الكاتبة أية مشكلة يمكن أن تطرأ، لأنها أرادت توضيح الفكرة من خلال ذاتية البطلة

وأبعادها النفسية.

الكاتبة أصلا لم تعتبر ما كتبته قصة قصيرة. في حين أن ما كتبت هو أقرب ما يكون للقصة رغم أن العقدة بدت غير متدفقة مع مجرى أحداث القصة، كما نرى ذلك في القصة عادة. أما أسلوب الكاتبة فهو هادىء كهدوء موضوع القصة، كما أتت عباراتها سهلة واضحة خالية من التعقيد، وقد أحسنت اختيار ألفاظها، وقد أجادت في الانتقال ما بين السرد القصصي من جهة والحوار المبسط من جهة أخرى، مما أدى إلى تفاعل القارىء مع القصة، غير أن ما يؤخذ عليها أن النقاش في نهاية القصة بين الحماة وزوج ابنها كان جافاً خطابياً غير متناسق مع الروح القصصية عموماً.

البنـد الثالث :

الندوة

وفـاء حسن منـور

٢٣/ ١٢/ ١٤٠٥هـ الموافق ٨/ ٩/ ١٩٨٥م

ليلة بنصف العمر

بطاقة الدعوة تأخذ شكلا رائعا لجناحي فراشة ذات ألوان متجانسة مغلفة بغلاف ذهبي اللون يتموج عند النظر إليه ويحمل شذى يداعب الانفاس اسطر بطاقة الدعوة مخطوطة بماء الذهب تعلن عن موعد زفاف ست الحسن والدلال الى فارس الأحلام ! .

آخر سطر من بطاقة الدعوة يرسل الحزن في قلب ربيعه عبارة تبدو وكأنها الحيلة المهذبة من الحد من عدد المدعوات الرجاء عدم اصطحاب الأطفال الى القاعة .

تعاقب نفسها ، ولم الحزن؟ وهل أنا ذاهبة حقا الى ذلك الحفل؟ واصحابه قد نسوا أن لهم ابنة عم طوال اعوام وأعوام . ولكن ما الذي ذكرهم بي؟ وهم على خلاف معى ومع أبي؟ هل وجدوا أن هذه فرصة طيبة للصلح ونسيان الماضي ومآسية؟ ولكن لا بأس . . سأذهب إلى الحفل فهم أهلي وأنا متشوقة لرؤيتهم . . ولكن ماذا إذا كانت هذه دعوة لاهانتي؟ فزوجة عمى امرأة خبيثة لا تطيق رائحة أي خبر عنا . . حتى عمى قد نسى ابناء أخيه فلم يعد يزورنا أو يقدم حتى الواجب تجاه ابناء أخيه المتوفى . . ربما قد هداهم الله وأرادوا إصلاح ما أفسدوه . . ولكن كيف اذهب الى حفل الزفاف وأنا لا يتوفر لى ثوب لأخضر به . تهرول ربيعة الى خزانة ملابسها وتستعرض اثوابها المشدودة من الأعلى .

تزم شفتها عند رؤية ثوب وآخر . لقد أصبح هذا الثوب ذا تصميم قديم لا يلائم هذا الزمن . . والثوب الآخر مزقه ذلك المسمار اللعين الخارج برأسه عند سطح الكعب لخذائي ومزق

الخطوط المتعرجة لتطريز الثوب . . يا خسارة . . لا استطيع الذهاب . . حتما سيكون حفلا رائعا . . المدعوات . . وأهل العروس . . والعروس . . ومطربتان ستقومان باحياء ليل الحفل . . ليتني أكون إحدى الحاضرات . . هم يعرفون أن ربيعة لا تملك من الأثواب ما يليق بالحضور الى تلك الأماكن ومجالسة المدعوات . . سيدهشها ذلك المنظر فهي لم تشاهد حفل زفاف تحشد له فقرات ومفاجآت . . حفلات الأعراس التي تحضرها تذهب إليها من بعد صلاة العشاء وعلى ذلك تكون عودتها الى البيت مبكرة . وهم على علم بأن ربيعة متزوجة من رجل ميسور الحال ولكنها تفيض وتنبض عشقا وتنضح سعادة مع قرين حياتها ووالد صغارها ومجموعة أفراد أسرتها ونصيبها المكتوب .

تحدث ربيعة نفسها . . كيف لا أحضر حفل زفاف ابنة عمى؟ أكبر ابنائه وبناته؟ وأول فرحته . . لكن لماذا هذا الحرص على الذهاب إليهم؟ من كثرة زياراتهم لي؟ بل من كثرة سؤالهم عنى؟ أين كانوا طوال هذه السنين؟ لا بأس سأذهب ليس لأجلهم بل تقديرا لعمى الذي أرى في شخصه الخارجي أبي رحمه الله .

تتذكر ما يعيق ذهابها الى مكان الحفل . . آه لو يوجد ثوباً يناسب ذلك الحفل وتلك المدعوات لكنني لا أريد أن أرهق عاصم يكفيه تلال الهموم التي أوجدت بطريقة . . إذا لا داعي من الذهاب .

تريد ربيعة احباط رغبتها وتكذيب تشوقها الى رؤية مهرجان الفرح المقام . سيكون الحفل ممتلأ بالمدعوات ومؤكد أنه سيستمر الى ساعة متأخرة من الليل .

. . وأنا لم أتعود على السهر . . ربما أصاب بالصداع . . ويجعلني النعاس اضحوكة بين سيدات الحفل الأفضل أن أقضى

تلك الليلة مع أسرتي . . !! لكن سمية عندما احضرت بطاقة الدعوة لي قالت أن الجميع سيشهد ليلة من ليالي ألف ليلة وليلة . . هناك استعراض فني كبير لموكب زفاف العروسين . . وأنا ثوبي الذي سأرتديه مطرزاً بالأحجار الكريمة! . . والله وضحكت لك الأيام يا سمية ورأيت يوم تحكى لك فيه . . كل مخلوق يأخذ نصيبه .

والحمد لله الذي وفق بيني وبين عاصم فهو رجل طيب يحب بيته وأهله . . يشرد تفكيرها في الاستعدادات المقامة في بيت عمها العامر . . لا أدرى كيف ستبدو زوجة عمى؟؟ فهى أم العروس وزوجة رجل الأعمال المعروف أو بالأصح زوجة المليونير . . تتذكر ربيعة آخر عبارة قالتها سمية وهي واقفة عند باب البيت المتواضع والذي لم تكن لأحد من أسرة عمى الرغبة في زيارته . . قالت . . لا تتأخرى يا ربيعة عن الحضور ولا راح نصف عمرك! .

لا بأس من معالجة العيب في ثوبي المشقوق . . وأكون من ضمن الحاضرات . . اخشى أن يذهب نصف عمرى وأعيش في حسرة دائمة . . ما رأيك يا عاصم؟

- أعتقد أنه لا ينفع لكي تحضري به .

- إذن ما العمل؟ إنني رغم كثرة ترددى إلا اننى مشتاقة الى رؤية هذا المهرجان الذي سيتحدث عنه الجميع .

- لا عليك ستذهبين الى مكان الحفل وتكونين أبهى من العروس . . فقط اشرقى بابتسامتك أيتها المجنونة وفي أحد الفنادق الممتازة والتى تقدم أفضل الخدمات . . تتوه ربيعة بين قاعات الفندق المتعددة . . يتصبب العرق من جسدها . . وتشعر ببرودة تغطى أطرافها . . تشد الألم على قدميها فالحذاء غير مريح أو انها لم تعد تجيد المشى فوق حذاء ذى كعب طويل . . تتمايل فى

مشيتها تدوس على أطراف عبائتها . . تسحبها برفق . . وتبقيها منسدلة عند خصرها . . تدلف الى القاعة . . كثرة الأنوار ذات الألوان المزعجة تجعلها لا تقوى على النظر الى كل من في المكان . . لم يعرفها أحد من السيدات المخصصات لاستقبال المدعوات لكنهن يجهلنها . . تلك زوجة عمي . . وهؤلاء بقية بناتها واخواتها . . انهن يحدقن فيما ترتديه ربيعة ويتهامسن . . ويتغامزن . . إذن كانت دعوتي لأرى ما هم فيه من نعمة . . لا . . لا . . قد لا يعرفونني بعد لم أكن مغرورة في يوم من الأيام كهذا اليوم . . فبنات عمي يكرهنني لأني أجمل منهن . . رغم ملابسهن الغالية الثمن . . الحمد لله الذي أرسل في نفسي القناعة والرضا . . لأطلب مزيداً إلا أن أكون في سعادتي مع زوجي وصغاري . . لم أضع المساحيق فوق وجهي . . خشيت أن أكون غير فاهمة لفنون المكياج فأحببت أن أبدو في جمالي الطبيعي وهذا ما شجعني عليه زوجي . . إلا من اكتحال عيني وصبغ شفتاي بقليل من أحمر الشفاه تزعجني نظرات الجالسات . . بين نظرات الاعجاب . . وبين نظرات الاستفهام . . انني مجهولة لديهن . . لا أحد يعرف أنني ابنة عم العروسة .

تجلس ربيعة في مكان بعيد عن المدعوات . . تتأمل بدهشة وصمت ارجاء القاعة . . كم تبدو رائعة مساحات الجدار المكسوة باشكال هندسية لامعة . . أما زواية العروسين فانها أجمل مكان لتألقهما بعد أن فرشت دروبها بأنواع مختلفة من الزهور التي يسيطر عبقها على النسمات الراقصة . . تلتفت ربيعة بنظراتها هنا وهناك لتشهد موكب دخول كل مدعوة الى مكان الحفل . . تشعر بألم في رقبتها . . وعامودها الفقري . . تعتدل في الجلوس فوق المقعد . .

يلفت نظرها قوام رشيق وخطوات ذات زيف واصطناع . . وضحكة منغمة . . ونحر مخنوق بالجواهر الثمينة . . تشير تلك المرأة ببنانها نحو مسرح القاعة وتقول هناك . . هناك . . تبتغي الجلوس تحت الأضواء المسلطة والساطعة . . تتفقد ربيعة من جديد ثوبها وخصلات شعرها المنسدلة كالشلال وراء ظهرها واردد الحمد لله الزغاريد تعلن عن وصول المطربة الأخرى ورائحة العود تغمر المكان . . مجموعة من الفتيات تعلو قهقهاتهن وتعليقاتهن على الطريقة الخاطئة التى اتبعتها المطربة في أداء الموال . . فتأخر وتقدم بكلماته كما يحلو لها يرتفع صوت الهتافات والضحكات ثانية . . ليس اعجاباً كما كانت تتصور ربيعة .

صوت آخر ينطلق بشدو أحدث أغنية لكنه يبدو أكثر من رائع . . تنطق الزغاريد وتغطى القاعة باصوات الهتاف والتصفيق وبين لحظة وأخرى يمتلىء المسرح بالجميلات والحسناوات اللاتي قمن باستعراض ما يلبسنه وما يتزين به .

ترسل ربيعة نظراتها وتأملاتها في اعداد الحسناوات . . وتحدث نفسها . . لو أننى ارتديت مثلهن . . هل كان ينقصني شيء لأصبح من جملتهن؟ ولكن أين مكانك يا ربيعة من تلك الحسناوات رغم تفوق حسنك وجمالك عليهن؟ أين أنت من فنون رقصاتهن؟ تتفقد ربيعة مرة أخرى شكلها الخارجى . . ترى عاصم يبتسم لاصالتها وطيبها . . تردد الحمد لله . . الحمد لله . . القاعة اصبحت مكتظة بالمدعوات وهذه الفتاة التى تصحبها احدى بنات عمي لم تجد لها مقعداً . . اننى أكاد أعرف تلك الفتاة . . نعم هى سلوى العروس التى يريدونهالابن عمى رجل الأعمال المشهور . . إنها تشبه اخواتها الكبار اللاتي كن رفقيات لدرب طفولتي ولكنها أجمل منهن . .

الشعر المستعار على رأس دلال إبنة عمي يجعلها كإحدى الدمي وخصلات الشعر الذهبي لا يتلائمم مع لون بشرتها الغامق . . تتجه نحو مقعدي . . أتريد أن تجلس عروس أخيها في مقعدي؟ وتقيمنى من مكاني؟ ليتني لم أحضر الى هنا . . تشير دلال الى مقعد ربيعة .

- اجلسي هنا يا سلوى فهذه ربيعة ابنة عمى الا تتذكرين أمها التى كانت تحكى لنا حكايات فرط الرمان ولؤلؤ بنت مرجان؟ الا تذكرين خاله سعديه التى كانت تقوم باعداد أكياس الليف وبيعها . .

يحمر وجه ربيعة وتزداد ضربات قلبها ولأول مرة في الحفل تفتح فمها لتتكلم بعد صمت طويل . .

- عجباً يا ابنة عمي المليونير . . ألم تعرفى أن ربيعة عندما جاءت الى هنا وجلست طوال الليل شبه مجهولة فقط عرفتها بأن أمها هي التي تحكى الحكايات لبنات الحي الصغيرات والتي تبيع الليف . . اتقصدين اهانتي ايتها العزيزة؟؟ انني افتخر كثيرا بكفاح أمي بعد وفاة أبى فمن أجلنا اصبحت بائعة الليف فاحسنت تربيتنا ولم تجعلنا نمد أيدينا حتى إلى أقرب الناس منا . . فآثرت بيع الليف عن السؤال والحاجة . وليتها استطاعت ان تنظف نفوس بعض المرضى كما استطاعت تنظيف أبدانهم .

أما حكاياتها الممتعة من فرط الرمان ولؤلؤ بنت مرجان التي ترسل شعورها الطوال لتأخذ من بين الحر والجبال . . فاعتقد أن لؤلؤ هذه قد أعياها التفكير في هذا الزمان لتأخذ حبيبها على شعورها المرسلة فأصيبت بمرض نفسي لفشلها الكبير في التقاط حبيبها فلم يعهد بقاء لخصلات شعرها الأمر الذي جعلها ترتدي شعراً مستعاراً . .

- لو كنت ارتدي يا صغيرتي ثوباً مطرزاً بالجواهر. . لو كنت أنثر مجوهرات الصاغة فوق أجزاء جسدي لو اتخذت جلسة زائفة واقنعت نفسي ان لا جميلة غيري في الحفل. . هل تجرأت يا ابنة عمي باهانتي هذه؟

لقد خشيت أن يذهب نصف عمري أن لم أحضر زفاف أختك. . وأنا الآن أخشى أن يذهب عمري كله إذا استمريت في مواصلة الحفل. . هلا فهمتى قصدي؟

وغادرت ربيعة القاعة وهى محل إعجاب كل الحاضرات.

يمكن اعتبـار هذه القصة نموذجاً الى حد ما للقصة القصيرة التى تحتوي على المقومات الفنية للقصة، وهي المقدمة ـ العقدة ـ الحل، ولكنها لا تقف عند الحد الفني للقصة، بل تتجاوز ذلك، ولعل تقمص الكاتب لاحدى شخصيات قصته أو لبطل فيه، يعطى القصة زخماً مؤثراً لما يصف من مشاعر. ويستطيع من خلاله الغوص في أعماق النفس البشرية، وما يجرى فيها من تناقضات. فقد بدأت القصة حين استلمت من زوجة عمها لأبيها بطاقة دعوة لحضور زفاف بنت عمها، وقد كانت حريصة على حضورها، وتحدثت الكاتبة بلسان بطلة القصة عن الثوب الـذي يليق أن تذهب به، وعن زوجهـا، وعن العلاقة المنقطعة فيما بينهمـا وبين بيت عمهـا، ثم آثـرت الـذهاب، ولم تتكلف في وضع المكياج والزينة، ولبست بما يتناسب وإشراقة ابتسامتها، إلى هنا وتبدو أن عقدة القصة تكمن بماذا سيحدث في هذا الحفل أو كيف سيكون استقبالها لدى بنات عمها وزوجته. لم يرحب بها أحد، ولكن إحدى بنات عمها آثرت إحدى المدعوات على بطلة القصة، فتوجهت إليها لتطلب منها أن تترك مكانها للمدعوة! وهذا الموقف جعلها تنفجر في وجـه بنت عمهـا، وهبت تدافع عن كرامتها. . وكانت محل إعجاب جميع الحاضرات.

هذه القصة واضحة المعالم، وكل ما جاء في القصة يفيد في عرض المشكلة فعملية اختيار الثوب، تدل على الفارق المادى الذى تشعر به بطلة القصة تجاه بيت عمها. وهم من كبار الأغنياء، كما يدل التردد في تلبية الدعوة على مدى القطيعة عنهم، والشماتة منهم لو لم تكن في

مظهرها كما يريدون. أما موقف الزوج من حيث اختيار الزينة فيؤكد مدى استقرار البطلة النفسي والارتباط والحب والمودة التي تلمسها من زوجها «فقط أشـرقي بابتسـامتـك» والحيرة التى أدركتهـا حين دخلت قاعـة الاحتفـال في الفنـدق. . تتحـدث عن مدى غرابتها عن هذه الأجواء «المزيفة» الكاتبة عرضت ببساطة إلى خبايا النفس عند بطلتها من خلال ما ترى ممـا حولها من مظاهر، وقد سبرت أغوار نفسها، وقد تطرقت الكاتبة إلى البيئة السعودية ـ دون أن يدري القاريء ـ فالاحتفال كان للنساء دون الرجال، والعباءة جزء من المرأة السعودية والخليجية «. . تسحبها برفق. . وتبقيها منسدلة عند خصرها. . ».

القصـة متماسكة من حيث مقومات القصة، والشخصيات واضحة بالقدر الذى تريده عقدة القصة، أما خارج هذه العقدة فلا نعلم شيئاً عنهـا. أمـا عنوان القصة «ليلة بنصف العمر» فهو ناجح ومنسجم مع القصـة، غير أن طريقـة اختيار العنوان ليست صعبة، ويمكن اختيار عنـاوين كثيرة ممـاثلة، إذ أن هذا العنـوان يعبـر عن ناحية جانبية في القصـة، وهـذا يذكـرني بعنـاوين بعض القصص القصيرة التى كتبها الكاتب الامريكي جون شنايتبك، ولا فرق هنا إن كان العنوان «بطاقة حفلة زفاف» مثلا. القصة مغرقة في الذاتية ـ ذاتية البطلة ـ غير أن الكاتبة خرجت في جملة واحدة فقط عن تلك الذاتية، حين عبرت عن إعجاب كل الحاضرين في نهاية القصـة.

الفصل الثانى

الروايــة الموجزة

البنـد الاول :

ملحق المدينة

غالب حمزة أبو الفـرج ـ الاربعاء

١٩/ ١٢/ ١٤٠٥هـ الموافق ٤/ ٩/ ١٩٨٥م

وتزوجت أمـــي

وسهـرت وحدى أحدق في الظلام أرمق عن بعد، طيف طفلة عربية لم يتعد عمرها الخامسة عشر، كانت شموع المائدة تضيء الاطبـاق. . تلقى ظلالا ضعيفـة من الضـوء على الصدور، التى كانت تخفق وهي تغنى «هابى برث تو يو»، كنت كمن يحلم، لا شيء على الاطـلاق الى جانبى، لكنهـا هى المـرة الأولى التي احتفل بيوم مولدي بعد أن ذهبت عني طيوف من أحب. .

ستسـألنى وأنت تضحك، أو يمكن أن تصبح الغربة في ديار الغربة هما ثقيلا يخيم على صدور اولئك الذين احبو الغربة؟؟ . . ربما كان ذلك صحيحا، لأن الحياة لا يمكن أن تسير على منوال واحد. . قد تعطى وقد تشح وقد تغنى وقد تفنى وهى في كل هذا الذي تصنعه هى الحياة.

طفولتي شاخت قبل أوانها، كبرت تصرفاتي بعد أن رأيت الحياة فى بيتنا بلا طعم، فأبى وأمى على خلاف دائم، أراه مرات ألمح معالمه وأرى ظروفه واسمع كلماتهما معا. رغم كل ما يفعلانه من أجل أن يخفيا الأمر علي.

اختي طفلة لاهية لا تدرى من الحياة إلا أن تجـاب طلباتها. وأبي في عنفوان رجولته، يحلم بالكثير، ويصنع الكثير، حتى إذا ما عبرت بي سنوات العمر وجدت نفسى وحيدا في مدرسة انجليزية في الاسكندرية. .

فى المدرسة. . تفتحت عيناى على أشياء كثيرة منها. . العمر الذي أمضيته والأيام التى أقضيها، ليس لي فيها إلا تلك الأيام التى

كنت أتذكر فيها صديقة عمري وحياتي وطفة . .

نسيت أن أقول لكم بأن وطفة طفلة أنيقة صغيرة ، أمها من سوريا وأبوها من مدينتي . المدينة التى ينام على شواطئها القمر . لابد وأنكم عرفتم مدينتي ! ! فجدة أو عروس البحر أو سيدة الثغور كما كان يحب أبي أن يناديها هي مدينتي يوم لم تكن جدة على ما هي عليه . .

عندما انهيت دراستي الثانوية أصر أبي على أن أدرس فى انجلترا ولندن بالذات ، وأصرت أمي على أن أدرس في أمريكا ، أبي عندما أصر على أن اتعلم في لندن كان يريدنى أن أسير على نهجه ، أما أمي فكانت تريدني أن أسير على نهج خالي . . حسمت الأمر وقلت في شيء من الهدوء : لماذا لا أنال البكالوريوس من لندن ، والماجستير من أمريكا ، نظر أبي إلى أمي وكأنه يطلب منها أن توافق . . فلم توافق ! ! وكسبت أنا الجولة عندما كنت أعود فى كل رحلة الى مدينتي أرى وطفة وهي تكبر ، لكن لقاءاتنا اصبحت قليلة ، اختى تتحدث عن خطابها بشيء من الاعتزاز أو لم أقل لكم بأنها أيضا صديقة أختى ، عندما كبرت عرفت من جدتي السودانية العجوز التى ربتنا أنا وأبي أسباب الخلاف الدائم بين أمي وأبي .

فأبي لم يكن يود خطبتها ، لولا أن غلب عليه أمره . . اتفقا على تزويج الابنة للابن وهكذا صار في مجتمعنا القديم اشياء كثيرة تصبح حقيقة دون أن ندري أو حتى يكون لنا فيها رأي .

عندما كنت في أمريكا ، واثناء دراستي للماجستير ، تلقيت الصدمة الأولى فأبي وأمي انفصلا بالطلاق . . وأصبح شيئاً كما كانت تكتب لي عنه أختي أشبه بثلاجة لحوم باردة . .

حتى أبي لم تعد له الحيوية السابقة وأصبح يميل الى العزلة

لدرجة خافت فيها سمية أختى من أن يكون مريضا . . يوم عدت في إجازتي الى بيتنا أخذ أبي بيدي وأنزوى بي في مكتبه وأخذ يحدثني عن حاجته لأن يتزوج، نظرت في عينيه فرأيت العزم والاصرار على تنفيذ هذه الرغبة . قال لي يومها : ولا أزال أذكر كلامه، أنت تعرف بانها ليست خطيئتي بمفردي يوم طلقت أمك . . فهذه هي إرادة الله، لكني وبعد أن عزمت على أن أتزوج، آمل أن تقنع أختك بأنني على صواب .

وأجبت بصوت حاولت أن يكون هادئا . . ومن هي هذه المحظوظة التي اخترتها لتحتل مكان أمي .

أم وطفة . . قالها بصوت هو الآخر أن يكون هادئاً . . فقلت على بركة الله . .

عندما تحدثت لأختي عن قرار أبي عز عليها أن يتزوج أبي هكذا بسرعة . . لكنني استطعت بعد حديث طويل أن أقنعها فقالت اوتدري أن لوطفة اختا في سن الزواج، قلت أعرفها لكنها لم تكن جميلة كما هو الحال مع وطفة .

قالت أختي : صدقني إنها الآن أجمل ودفعة واحدة . . قالت في صوت عالٍ ما رأيك في أن تتزوجها أنت؟ واجبتها أو تعنين بأن يتزوج أبي الأم وأنا الابنة؟ وماذا في الأمر قالتها أختي بشيء من السعادة، فقلت أهي صديقتك؟ نعم!! وعندها طلبت منها أن تحاول اطلاعي على صورتها . .

ليلتها امضت أختي أكثر من ثلاث ساعات تتحدث عن أمل . . وأخذت أفكر من جانبي أنا الآخر في هذه الطفلة حتي إذا ما انبلج فجر اليوم الثاني استغللت وجود أبي في مكتبه قائلا :

إنها موافقة!!

أو تعني أختك؟؟

وبهزة من رأسي أجبت بالايجاب فابتسم والدى لكنني لم أترك ابتسامته تكبر بل قلت له فجأة وتقترح أن أتزوج أمل . . أحسست بابتسامة أبي وقد أخذت تكبر وتكبر حتي ملأت كل وجهه . ولم يمض الا بضعة أسابيع وأم وطفة زوجة أبي الجديدة في بيتنا ومعنا . .

أحسست أن المرأة تحاول أن تتقرب مني ومن أختي بشكل وافر، وبدأت أحس بشيء من الراحة حتى ذلك اليوم والذى عرفت فيه أمل . . فوطفة قد تزوجت ولم يبق لي سوى أمل، وتحدثت معها وسألتها أن كانت ترضى أن تتزوجني؟ وقد كان لم يبخل أبي على حفل زفافي بشيء وجاءت أمي إلى بيتنا وعاشت معنا أكثر من أسبوع، تراقب مسيرة زواجي حتى ذلك اليوم الذي همست فيه بأذني :

طلال . . قلت : نعم ماذا تريدين يا أماه؟؟

وبخفر المرأة وبراءة الصبية قالت أمي : لا أدرى كيف أبدأ لكنني أود أن توافق على رغبتي فإنني مخطوبة لرجل أنت تعرفه . . قلت : من؟؟

قالت وفي شيء من الرصانة والهدوء . . لوالد وطفة الذي سأل أبي أكثر من ثلاث مرات الاقتران بي وأنا أرفض أما وبعد أن تزوجت ابنته فهأنذا أوافق من أجلك ومن أجلها . .

ونظرت الى وجه أمي وأنا أقول أهو إذن من أجلي يا أماه؟؟

وغمغمت أمي كلماتها ومضت، وأنا أفكر كثيرا في زواج أمي، وتذكرت يوم طلاق أمي وما تبع ذلك الأمر من احداث وشعرت بأنني مهيئاً لأن أوافق على زواج أمي . . أمي أنا!!!

عني الكاتب براوي القصة، فجلعه نقطة الثقل فيها، وكل الأحداث مرتبطة به. ذلك بالرغم من علاقته الثانوية بموضوع القصة وتطوره. فقد بدأ حديثه عن طفولته وشبابه ودراسته بأسلوب مشوق ممتع، وشعر بخلافات أمه وأبيه، رغم تحاشيهما أن يدرك هذه الخلافات، وأخته الصغيرة لم تدرك بعد معنى الخلافات الزوجية، ثم انتقل إلى مدرسة في الاسكندرية، وكان يتذكر أيامه الماضية.. أخته وصديقتها «وطفة» وخلافات أبيه وأمه العميقة جداً، حتي في الأمور المتقاربة، فهل سيتابع دراسته كما يريد أبوه في انكلترا أم كما تريد أمه في أمريكا، وقد علم من خادمة عجوز أن خلافات والديه قد بدأت منذ زواجهما، وكان قسراً بسبب صداقة والديهما. وفي أثناء دراسته في الخارج علم بخبر طلاقهما. ولما عاد فاتحه أبوه بأنه يريد أن يتزوج من أم «وطفة» وتم ذلك. وتبع ذلك أن تزوج الراوي من أخت «وطفة» ثم فاتحته أمه بأمر زواجها من والد «وطفة» وتم ذلك أيضا. وقد تبين من السرد أن والده منذ بداية حياته كان يريد الزواج ممن يحب وهي أم وطفة. ووالدته كذلك منذ بداية حياتها، كانت تريد الزواج من والد وطفة الذى طلبها للزواج مراراً ولم يحظ بموافقة والدها.

من حق الكاتب أن يضع عنواناً آخر لقصته هو «الحب ينتصر ولو متأخراً» ولعل ما منعه من اختيار مثل هذا العنوان أن الراوي نفسه لم يتزوج من وطفة الطفلة الجميلة التي أحبها منذ الصغر بل تزوج أختها، ولعل الأحداث تعيد نفسها كما يقال.

أسلوب القصة ليس بالأسلوب القصصي المعهود فلا يظهر فيها عقدة محددة، ونهاية القصة لا تدل على أن هناك مشكلة قد حلت، ولو اتبع الكـاتب اسلوباً آخر في الكتابة لما استطاع أن يجعلها قصة قصيرة، فالأحداث التى تطرق لها بكلمات بسيطة، تصلح لأن تكون فصولاً من رواية طويلة، ولعله فن جديد في الكتابة، وهي الرواية الموجزة جداً، وهـذا الفن في الكتـابـة لم تعرفه اللغة العربية الا في رواية «المرايا» لنجيب محفوظ، وهي مجموعة كبيرة من الروايات المتصلة شخصياتها فيما بينها، وهي موجزة على نسق هذه القصة. ومن الواقعية بمكان أن يلجأ الكاتب إلى هذا الأسلوب، فبعد قراءة القصة، يتبين أن القارىء قد تعرف على شخصيات متكاملة الوضوح. في حين أن الشخصيات والأحداث في القصة القصيرة، تبدو مبتورة ناقصة، ليس لها تاريخ ولا مستقبل بل حاضر مرتبط بحدث منفصل عن أحداث أخرى.

إذا اتسع المجال الزماني في هذه القصة، فالمحتوى المكاني أيضاً قد شمـل عدة مدن عربية وأجنبية، وشخصياتهـا تنوعت فقد أتى بها الكاتب من عدة بلاد عربية، وهذا يتلائم مع زماننا الحاضر حيث أبيدت المسافة، واقتربت القارات الخمس من بعضها البعض، بفضل تطور المواصلات البحرية والبرية والجوية في العصر الحديث.

الكاتب يتحلى بالجدية في وصف الأحداث والشخصيات، غير أن الأحداث في نهاية القصة جعلت الجدية تميل إلى الطرافة شيئاً فشيئاً إلى أن تتزوج الأم أيضاً. وقليل من الكتاب من يستطيع التنقل بين الجد

والهـزل والرصانة والطرافة في أسلوب كتابته. وتعد القصة جديدة في قالبها ومعانيها، فهي أسلوب جديد من حيث القالب، أما الموضوع فهو الزواج والطلاق ويتبادر للذهن أن الموضوع مطروق، ولكن ليس بهذه الصورة، ويبدو أن الكاتب لا يعتبر الطلاق أو الزواج المتكرر مشكلة بحد ذاته، بل يمكن قبوله كأمر طبيعي.

يمكن اعتبار هذه القصة وغيرها مما كتب المؤلف، نموذجاً جديداً للكتابة القصصية، لا تتوافق مع المقومات التي تقوم عليها القصة التي أخـذنـاهـا عن القصـة المترجمة عن اللغات الأوروبية، ولعل القصة العربية لها مقومات أخرى، ويجب على المؤرخين الأدبيين تمييزها وتسجيلها.

الفصل الثالث

القصـــة المبهـــمة

البنـد الاول :

اليـــوم

حســـن النعمـي

١/ ١/ ١٤٠٦هـ الموافق ١٥/ ٩/ ١٩٨٥م

الـــرأس

إهداء . . إلى س . ع . . في زمن اللاءات المرة . .

يتقـد القيظ في صدره . . يدير رأسـه . . يتـركـه يهرول داخل احشائه . . ترهقه حمى القسوة . . يلبسه صوت تعود أن يسبح في تجلياته . لكنه يندب نفسه . . يريد رأسا يوازي رأسه الحليق . . كان من امنياته أن يجد وسادة من أذرع ناعمة . ولأن أمنيته بدأت صوتا ، فقد ظل يهذي لذلك الطيف البعيد .

يثابر في غرس علامة استفهام طفيلية في مقدمة رأسه . . (حتى قيل في تأويل اندحاره وبلوغه درجة أليمة ، أنه استيقظ ورأسه بين رجليه ، ظن في البداية ألا علاقة له بتلك الجمجمة العفنة ، لكن شيئاً ما وخزه . . لعله الصوت الذي اعتاد أن يشربه . . كانت وهي ترسل صوتها له . . تشعل ألف ظلمة . . عميقة . .

يقـرر أن يدخل رأسه . . تعذر عليه أن يشقى نفسه . . يشرب جرعتين من صوتها الدافىء . . يتمتم بأمنية أخيرة . . يتدثر بالجرأة ، يرتكز كرمح بابلي فوق هامته . . لم تعد اللحظة الزمنية تعنيه في شيء فقراره أخير . .

لا بـــد أن . .

يكشف القنـاع . . (ظـل يبتعـد عنهـا بمسافة الماء الغائر في الرمال) . . هو يعلم ، لو تساءل صرخ ، ولو صرخ وجد مبرراً لبقاء رأسه . . كوابيسه تكبر ، ورأسه يحتضن الهم . . في سن السابعة . . كان يبكي من كابـوسه ، ثم راح بين العاشرة والعشرين يهرب من كوابيسه التي طورت نفسها .

الآن يفقد جرأة البكاء والهرب، يظل يجري في عيون الهم.. يماطل قرار الدخول الى عتمة الرأس، لا بد أن يعرف ذلك الهاجس الذي يحني رأسه.. بدموع تراثية حفظها من تلك المآتم بكى بآلية.. نوع من طقوس اللحظة يمارسها.. يتحسس حرارة رأسه.. يده ترتعش.. مفتاح الدخول يسقط.. ينحني.. يلتقط المفتاح.. يجد رجليه في تطاول.. يكبر كالعاصفة الهوجاء.. يصطدم رأسه بالسقف.. يتألم.. يجلس.. يعود جذعه في التطاول.. يحب أن يعرف إلى أي مدى يريد أن يصل رأسه.. ينصدع السقف.. يخرج الرأس كنبتة شيطانية.. يغمض عينيه من حرارة الشمس.. يتهدل رأسه على صدره.. تتقلص المسافة بين الرأس والقدمين.. يتلذذ بالارتياح الذي غمره.

يعاوده مشروع الدخول بالحاح أكثر في رأسه تكوين غريب، يهدد رغبته الحادة.. يكاد يبكي.. يرفض عجزه.. يحدق في رأسه.. يحس للحظة بترسبات محلية في تجويفه الداخلي.. يذكر فلسفة لأحد العارفين بفحوى الأمور.. (الملح وسيلة لقتل العفن ولكن)... نسي قضية الملح في الرأس أو لعله تظاهر بالنسيان.

يستجدي من تعبه لحظة قوة.. يطارد فكرة الركض في عينيه.. يمسك بها.. يطوي رأسه بين ذراعيه.. يقام فكرة النوم الوليدة... يبصق في عيني رأسه.. تتحداه بوقاحة يأسف لجرأتها، لكنه يثابر في سيره.. المخاض يحسسه باستدارة رأسه.. في أذنيه يطن رنين متمرد.. لضمورهما يتألم.. يتحسسهما حجم المعاناة يتبلور.. يحاول أن ينتزع ذلك الثعبان المثنى حولهما.. يمقت سمه الحارق.. يقسم أن ينتقم من الذين حاولوا الاساءة لرأسه..

بليد، يغمره شعور كهذا يتألم . . كالآخرين . . يسيء لرأسه . . يعاود فكرة الدخول . . يراقب في عينيه مأساة تبول على نفسها . . يتقيأ مرارة الأفكار . . ينصت للسانه البذيء . . يستقذر وقاحته الطارئة . . يقضم عليه بأسنانه . . يتوجع . . لعابه يمتزج بشيء من دمه . . يكومه خلف شفتيه . . يبصقه إلى الفضاء الخارجي . . يتولد في ذاته ارتياح لهذه الكفارة الجارحة .

يصنع من نفسه عرافا . . يشعل البخور في حضنه . . يحمل رأسه بين راحتيه . . يشعر بثقله . . يبحث عن طريقة مريحة . . يقبض على ناصيته . . يمرجحه فوق انتفاضة البخور . . عيناه تدمع . . حلقه يجف . . لسانه يبحث عن ريقه المبعثر . . يقذف به داخل حنجرته . . بعمق يتنفس . . لهاثه يتصاعد في ارتباك . .

هي ؛ كانت بداية اصراره . . القت بسكين الرفض في صدره . . حاول أن ينزعها . . انشطرت . . تبعثرت في شراييه ، ورأسه ظل شاهداً أخرس . . لم يشهد حيادا بهذا الحمق . . ركل رأسه بانفعال حاد . . وبخه لسانه . . اعتذر عن تلك الاهانة غير المقصودة . .

يضع رأسه أمامه . . يتساءل . . أي شيء يجعله أخرس . . تطل من عينيه ومضة غريبة . . يلاحق اشعاعها . . يصفعه سراب اللحظة . . يكاد يترجل عن رغبة الاكتشاف . . لكنه يبعثر هلامية السراب . . يبحث عن كيفية للدخول . . يتمطى . . يجرب أن يدخل بانسياب ناعم . . يفشل . . يحاول أن يدخله بآلية . . يمطره لسانه بوابل من النصائح . . لسانه يظل ضد الفعل . . يقرر أن يتعامل معه بقسوة . . يربطه بسلك نحاسي . . يمد السلك على طول قامته ، ثم يربط الطرف الآخر بإحدى قدميه .

يلغي حركته . . يتنهد بعمق . . يعاود التحديق في رأسه المتورم . . دوامة البحث تضنيه . . يتذكر من تداعياته الخوف . .

لكنـه يضطهد هذا الخاطر. . يجبر نفسه على التعامل بجدية . . يكتشف حالة الصمت من حوله بنشوة مفتعلة . . (رأسه الأخرس . . لسانه الملجوم . . بوحه الدفين) . . تتحول نشوته الى وحشة . . يهتز رأسه . . تلدغه حمى الغليان . . تجتاحه نوازع هستيرية . . بانفعال جنوني . . يرتمي بثقله على رأسه . . يدوسه بقدميه . . تقفز عيناه في الفضـاء . . يحس بلزوجـة الدم بين أصابعه . . يغوص في حمم الدهشة . . يبحث عن التوان . . لكن رأسه كان يتصدع . .

كان حانقاً جداً، ويريد رأساً غير رأسه، ويتمنى أن تبادله حبيبته حباً بحب، وكان قد اندحر، واستيقظ ورأسه بين رجليه، وقرر أن يدخل رأسه، وشرب جرعتين من صوتها الدافىء.. يتدثر بالجرأة ولا بد أن يكشف القناع، وظل يبتعد عنها. وكان يبكي من كوابيسه، والآن يهرب منها، وعاد إليه مشروع ادخال رأسه؟!

هذه قصة قصيرة، وقد مضت على هذا المنوال، كما أرادها الكاتب. ولم استطيع ان استشف منها شيئاً، هي طلاسم وغموض، ولا أدري لماذا اعتبرها الكاتب قصة، لا مقدمة ولا مشكلة ولا حل، ولا شخصيات ولا احداث. إذا قرأ القارىء كل كلمة بمفردها وجد لها معنى واضحاً، غير أنها إذا اجتمعت مع غيرها لتشكل عبارة، ففيها الرمز والغموض، وبالتالى ليس المعنى في متناول اليد. لا ريب أن الكاتب أراد أن يقول شيئا، وقد استعمل الرسم التجريدي غير الواضح. ويبدو أنه أخبرنا أن في لوحته القصصية غضباً واندحاراً واستجماعاً للجرأة، وغير ذلك وأن هناك سر يربط بين هذه المعاني هو الرأس، غير أن الكاتب لم يكشف لنا عن أي شيء يرمز له الرأس، بل ما هو هذا السر؟! هذه القصة تجريدية، ومن خلال ألفاظها الآتية من هنا وهناك يختار القارىء المعنى الذي يريده!

كلماته واضحة، جمله سريعة وثّابة، لها رنين الشعر الحر، غير أن معانيه قصية بعيدة لا تدركها العقول، ولكن ربما القلوب والمشاعر.

البند الثاني :

اليـــوم

عبدالله الكويليت

١/ ١/ ١٤٠٦هـ الموافق ١٥/ ٩/ ١٩٨٥م

القـــــــرار

(أ)

ها هي الذاكرة بقايا مفرغة من دوامة الحلم . . جياد رقصت عبر عيون الشمس . . طفل عانقت أصابعه الطفلية صندوقا أخضر (ادفع ريالاً تنقـذ عربيا) ثم مزق شوارع الأمس فرحـا يحمل ورقة كبيرة مملوءة بالأختام والتوقيع .

(اخس الملعون نجح) تهنئة وقحة لم أكن أراها في يوم من الأيام بهذه الصورة السئية أبداً!!

وعلى الغـداء أجـد أحـد الأشخـاص الـذين ينـظر لهم بعين الاعتبار، أن أجلس بقربه كعلامة مميزة في هذا المهرجان المقام على شرفي!

(ب)

عندما تصبح وحيداً وتتحسس كل المواضيع المتخشبة حولك، تنساب جميع هذه الصور التي اخفى عليها الضوء القادم من النافذة غلالة زرقاء أحسست من خلاله بالتفرد والبرودة رغم حرارة الجو . وعلى تلك المخدة المشبعة برائحة (الفكس) والعرق شكل رأسي امتدادا ليس مستويا لجسم يرزح فوق هذا الفراش الرطب، الذي يبدو كأحد المعابد الشرقية .

(جـ)

(لو كان الهم رجلا لقتلته) هكذا أطرقت ومنذ زمن ليس بالبعيد قالت عجوز وقورة العيد أقبل . . ثم رحلت في سوق يمتد كائلة . . (آه ها هو العيد اسطوانة لمطرب قديم قد مل العالم صوته) .

في عيد مضى قلت لها:

- يا صبية الحي.. لماذا تضحك عيناك دائماً..؟

احمر وجهها خجلاً كطفلة تنظر للعالم من فوق كتف أبيها الضخم، ثم ابتسمت شفتاها كهلالين تعانقا فوق وجه الافق.

- عيدك مبارك.

ناولني خمسة ريالات ولم يرد بتحية العيد.. بدأ جارنا شخصا مخيفا مثل أبي الذي منعني من اعطاء لحمة الرقبة للجيران بحجة انها (عيب يا ولد).

(د)

مواء القطة ورائحة القرطاس المبتل في الشارع بدأ متناغماً مع وقع أقدامي التي صارت (مارشا) عسكريا.. عليّ أن اتفاعل معه بالحركة والقتامة ذاتها.. شيء ما يدفعني لاطلاق رغبات مكبوتة.

وعند المستشفى الذي لم يفارقني تراجعت عن ذلك إذ كانت رائحة (الكلوروفورم) تطوق كل شيء في هذه المدينة المبعثرة!!

حتى صوت أم كلثوم القادم من غرفة الممرض المناوب، أصبح اعلاناً حزيناً بالخيبة وعلى جميع الموجات!!

(هـ)

في الليل الذي لا ينقطع حاولت النوم مرات عديدة فلم استطع.. تأملت حتى مل مني التأمل.. عش العنكبوت القابع في زواية الغرفة، يهتز اهتزازات غير منتظمة.. مسكين كأن أنفاسي تلاحقه.. لقد أحس بما بها من صدأ ووجع بدأت أراه ينبض مثل هذا الصداع الذي يلازمني.. وعلى زاوية قريبة لا زالت نملة صغيرة تجاهد في حمل جناح احدى الحشرات.. حينئذ سألت الشخص المقابل لي في المرآة عن علاج لحالتي هذه فلم يجبني، بل هز رأسه باستخفاف ظاهر!!

الأمر الذي جعلني أضربه بقوة حتى طبعت أصابع يدي على وجهه بلع ريقه وفجأة بدأت تقاسيم وجهه على وشك الانفجار ارعبني منظره وعندما أحس هو بذلك قال رغبة منه في كسر حدة الموقف:

أنت شخص انفعالي!!

لكنني لا أملك خياراً.. سمعت هذا منهم وهددوني بالضرب ان فعلت.

. . . . . .

أنت لم تحلق منذ فترة طويلة..

لم يجبني على سؤالي؟

هاه.. آه صحيح.

(و)

في الصباح طوق الجفاف حلقي.. يا للأسف لقد تصاعد العفن في اعماقي بشكل يثير الدهشة.. نتاج طبيعي في القرن العشرين حيث يكون كل شيء ملوثا.. الحلم لم يعد ليلياً فقط بل تصاعدت نوباته عبر كل شيء.. واشتد همس المجاورين لي، خاصة عندما اكتشفوا انني بللت فراشي سبع مرات خلال ثلاثة أيام.

(ز)

عبر البوابة كانت تهز خطواتها بعنفوان الحياة.. ها هي اقبلت بدت أكثر أناقة من ذي قبل.. فقط أنا أعرف أي حزن بداخلها، رائحتها مميزة وان حاولت إخفاء ذلك بعطور النافذة الرائحة..

هـا هو صوتها له شكل الجنة في الأرض:

- كيف تبدو..؟

- السؤال لا يقبل أي جواب كاذب، إذ أن البقع التي تشكلت

فوق ثيابي ستفضح شيئاً إذا ما حاولت أن أكذب .

- تبدو متعباً جداً . . وأراهن أنه مجرد سراب . . وأقول أنه مجرد حلم فقط .

- فكر بكلينا . . لا تفكر بنفسك فقط . . حاولت من أجل ذلك . . أرجوك .

لا تكوني (بنيلوبي) الثانية فأنا لا استحق ذلك .

- لكنك لم تحاول مطلقاً مد جسورك معي !!

- . . . . . .

- اسمع إن هذه آخر زيارة لي . . لقد فكرت بهذا كثيراً اني آسفة . .

عندما أقول لك إنك مجرد محب فاشل، يداري حبه بأقنعة وأحلام واهية! لكن . .

وعندما تعالى الصوت المشوب بالاختناق، قال الطبيب للممرض الواقف قرب رف الأدوية اسرع ان مريض العنبر الثالث يحتاج الى حقنة مهدئة !!

الكاتب في هذه القصة يرسم صورة تجريدية بالكلمات، وقد قرأت القصة مراراً، في محاولات متعددة لسبر أغوارها، وفي النهاية، وبعد أن وضعت كل امكانياتي المتواضعة في قراءة هذه القصة، لم استطيع إلا أن أقول: اعتقد غير جازم بأنني فهمت ما يريد الكاتب!؟

بدأ الكاتب بتصوير مرحلة من حياتنا، الجياد المنتصرة، والتعاون لانقاذ عربي، والتهنئة الوقحة، ثم الانتهازية والاستغلال، وأصبح كل واحد منا يشعر بالوحدة وذلك بالرغم من حرارة قضايانا، ثم انطلق بيننا شعار يدعو بالابتعاد عن الهم، حتى أعيادنا صارت تقليداً، وحياة القطط تتناسب مع حياتنا، أما أغانينا فهي إعلان عن مرارة الخيبة والحزن، وإذا حاول أحدنا النسيان أو النوم فلن يستطيع في حين يبقى النمل قوياً في جهاده في سبيل قوته. ولا علاج لحالتنا هذه. بل وتستمر الخلافات بيننا، مشاكلنا لم تنفرج وأحلامنا زادت ونحن في القرن العشرين. ثم عرض الكاتب صورة مختلفة تعبر عن الأمل وعنفوان الحياة، ومثّل ذلك بفتاة تدعوه لمد الجسور معها، وأن هذه هي الفرصة الأولى والأخيرة، غير أنه لم يستطيع اتخاذ القرار لفقدان عقله.

القصة لوحة اتسعت لعدة مناظر صغيرة، أراد الكاتب بها توضيح تلك اللوحة، كانت عباراته جميلة وموحية، وألفاظه متناسقة ومعبرة، أما اللوحة ككل فهي غير واضحة، اللهم إلا بعد عدة قراءات أخرى، أكثر مما قرأت أنا. وبالطبع لا نستطيع أن نعرف ما إذا كانت مقومات القصة الفنية موجودة أم لا، ويبدو أنها متشابكة فيما بينها، فلا يدرى القارىء

أين هي المقـدمة وأين هي المشكلة، أما النهاية فواضحة تماما وهي «حقنة مهدئة للمريض في العنبر الثالث»!؟

البند الثالث:

اليـــوم

ســـعد الدوســـــري

١/ ١/ ١٤٠٦هـ الموافق ١٥/ ٩/ ١٩٨٥

الفضاء الأخير لحارس الحمام

لم أخف عندما رأيتها . .

كانت بيضاء والسواد يغطي رأسها . ومنتصف ظهرها . .

قال لي :

لوح لها . .

اغمضت عيني ، فتذكر، وابتسمت . .

ضمني من الخلف ، وصار يلوح بيديه ، وهو يخفي رأسه خلف ظهري ، فارخت رأسي وحزني الخفي . .

* * *

كيف أنام بقربه ، وكان يقول لي :

- ليتها تطير الى سطحي . .
- انثر لها حبا ، وستجيء . .
- هل نظرت الى رجلها . .
- رأيت رأسها فقط . . ودهشت لسحر اختلاط السواد مع البياض . .

تنهد بحرقة بالغة ، وحكى

- مددت يدي لها مرة ، فنظرت الى رجلها . . كان الصديد ينزف من الدائرة التي صنعها الحبل على ساقها . .

* * *

ضربت أمي وجهها وصارت تصرخ بكاء مراً ، وصار جسد ابي ينتفض لحبس الدموع ، أقوم دون أن يمسكني أحد كي استقيم . .

سألني عمي الذي دخل توا ، وهو يمسح لحيته الحمراء . .

- هل سقط من هنـاك . .

وأشار الى السطح الصغير . .

سمعت بكاء أمي ، وازداد انتفاض أبي ، وألقيت أنا ظهري على الجدار . .

نظرت إلى الفضاء ، فاذا هو خال . .

* * *

كان غريب الطور ذلك الصباح . .

حاولت اقناعه أن نبدأ فطورنا ، لكنه رفض . .

قلت له . .

- لكنني جائـع . .
- وأنـا : .

وضع كفيه على وجهه ، وأضاف :

- أنا مثلك ، أحس ألا ذراعان لي . .

تفجر كلامه في قلبي ، فعجزت عن الرد . .

اجبرت ترددي ، وقلت . .

- لكنهما هنا . . انظر اليهما . . انظر اليهما جيدا . . ذراعان كاملان . .
- لكنني لا أشعر بهما . .

رفع كفيه عن وجهه فجأة ، وجاء باتجاهي . .

امسكني من خصري ، ودفعني الى السطح . .

رأيته يرفع سقف المكعب الخشبي ويرميه جانباً . .

جلس بجانبي . . وصار ينظر مزيحا وجهه عني ، باتجاه السطح .

قلت كي اكسر صمته .

- لن يدخل الحمام الى هنا ، دون سقف . :

لم يجـب . .

قفـز فجأة . .

رفعت رأسي إليه ، فوجدته يضحـك . ويلوح بكلتا يديه . .

أحسست في نفس اللحظة أنني اسمع تنفساً غريبا ، تنفساً واضحاً لشخصه .

ازداد هذا الصوت ، وهو لم يزل يلوح ويضحك . .

شعرت بأنه ليس لشخص واحد ، بل لأشخاص .

تلفت حولي خائفا . .

صرخـــت . .

- هناك من يراقبك ، اخفض رأسك . .

لكنه لم يكن يسـمعني . .

صرخت مرة أخـرى . .

- اخفـض رأسـك .

أسندت ظهري إلى الخشب القائم إلى جانبي . . قمت على ركبتي .

وضعت أذني على الجـدار المشتـرك بين سطحنـا والسـطح المجـاور . فاكتشفت انه هو الذي يتنفس . . ثم اكتشفت ان كل الجدران تتنفس بصوت واحد وسخيف . .

- الجـدران ، الجـدران تراقبـك .

رأيتـــه يحمـــل في كفيه حبـا كثيراً ، ثم يضعـه على الجـدار المشتـرك . . صعـد . . التقط الحب مرة أخرى داخل كفيه وصار يمشي على الحافة . .

أحسست أن الجدران صارت تتنفس بشكل أكبر . ومع كل شهيق وزفير ، صارت تتحرك .

وفي اللحـظة التي مدت رأسهـا النـاصـع له ، زفرت الجدران بصوت متحد ، فانتفخا معا . .

شاهدته يهوي إلى الأرض البعيدة . .

وسمعت هديلا مخنوقاً . . اخرسه الشهيق الأخير لفواصل الطين المتآكلة . .

* * *

لم تمض سوى ليلة واحدة .

كانت مرارة الوقت دخانا يخنقني ، وكانت أركان الغرفة الضيقة . تنشق كل لحظة ليخرج رحمها ريش متعفن ، يسقط على وجهي ، فلا أجد من ينفضه . .

كنت انفخ ، فيخرج الهواء من رئتي حامضا وضعيفاً .

ـ ليتك سمعتني . . فلقد رأيتهم ، رأيتهم يخرجون من الطين أجساداً برؤوس مشقوقة الى نصفين . والغبار يملأ جماجمهم الفارغة . . ليتك سمعتني . فلقد كانوا يدفعون اياديهم المتفحمة نحوك . . كانت أوردتهم الجافة خارج جلود أياديهم ، وكانوا يدفعونها نحوك .

نفخت ، ونفخت ، لكن الأركان لا تزال تلد ، والغرفة صارت مملكة من ريش ينز دوداً . . .

أحسست ان هذا الدود يزحف باتجاه عرمي . .

وكانت أمي قد دفعتني الى الماء بعد أن خلعت كل ثيابي . وتركتني . . انظر لها فلم تعد . . سحبت الباب الخشبي برجلي ، وخرجت الى الغرفة . . تمددت وجلدي لا يزال رطبا . .

ـ لا تقترب ايها الدود ، لقد فقد العاجز أخاه ، فلا تقترب .

غطى الدود جلدي . وشعرت بدمي يتفجر الى الخارج . انقلبت ، فسقطت مجموعة كانت تمتص نصفي السلفي حاولت أن أقوم . ففشلت . .

صار الدود الملتصق بكتفي ينهش بقوة . .

صحت، فلم يجبني أحد . .

أوشك دمي على الانتهاء، فدخلت في شبه صفار، لكني لم أزل أشعر بالدود يعض.

نظرت إلى الأركان، فرأيتها تنظر إلي بعينين يملؤها الغباء والعور. .

تمنيت في تلك اللحظة. أن لي قبضتين كي اسددهما لتلك الوحوش التي هي الدود. .

ـ لو سمعتنيْ ما استطاعت هذه الجدران أن تكبر. ولجعلتني دوما. .

ازداد الصفار، فتحول دخان الغرفة الى شاشة رأيت فيها التقطي الحب من يدي، أيتها الحمامة ـ

من يدي. . .

فلم أنس متى خرجت هذه الكف، المشرعة أمامك، من قلبي. .

* * *

واذكر بقايا تلك الليلة التي نمت فيها كي احلم، ليس بالحلوى البعيدة، مثل كل أطفال حارتنا القاسية، لكن، كي اري في المنام، أن لي أصابع، معصما، كفا. وساعدا. .

اتذكر الآن. . اني رميت كتفي على سرير أخي، الذي لم يمر على موته المفاجيء سوى ليلة واحدة، وانني بكيت طويلا، وشعرت بعد نحيب برغبة في الضحك. .

* * *

كان أخي يمسكني كل صباح من خصري، ويجعلني اصعد سطحه الصغير، سطحه الذي اخفاه عن العيون، ومده للفضاء. .

كان يأخذني من خصري. . ويصعد بي. .

ونقف سويا امام مكعب خشبي صنعه من صناديق، نثرتها تلك الحارات النظيفة . .

كان يقول لي . كل يوم وهو يقف أمام البوابة المفتوحة . .

- لقد خرج الحمام .

- وسوف يعود؟؟

ثم ينظر الي . كل يوم، دون ساعدين، ودون معصمين، دون كف ودون أصابع . . ويقول:

- يطير الحمام، ثم يعود، كي يلتقط الحب . .

* * *

غمست رأسي في مخدته، بعد أن بللتها عيناي . .

رائحة الريش تنقلني الى سطحه الصغير . .

كيف سقطت يا حارس الحمام؟!

أعرف عينيها . . هذه التي يهذي بها نائما . .

رأيتها ذات صباح عادي، وهي تدير رأسها الناصع نحوه . .

يومها، رقصت معه، وكان منظري مضحكا، وأنا أرقص دون ذراعين . .

كنت أنا الذي يضحك، انا الذي شجعه أن ينزع من حاجبيه غمامة الحزن من أجلي . وأن يضحك . .

ضحكنا حتى غمرنا التعب . .

امسك خصري ودخلنا معا . .

مشينا داخل البيت، ثم صعدنا . .

صعدنا أكثر . . ثم كنا هناك . .

مد ركبته فرآها تقف على سطح مجاور . .

لوح لها . .

طلب مني أن اقترب كي أراها، فخفت من هذا الارتفاع . .

شجعني . .

لا تخف . . تعال لتشاهد اجمل حمامة . .

حمامة وهي تراقبك تهوي . . وشاهدت، لاول مرة الحبل يحيط ساقها العارية .

لمحت نفسي اقف على الجدار، وقد صار لي جناحان كبيران . .

طرت . .

ملأني الفضاء برائحة لم اشمها من قبل . . رائحة عطرية، لم اشمها . .

طرت أعلى . .

اندهشت كيف تنفصل البيوت عن بعضها، والحارة علبة صغيرة .

بدا لي أن امعائي تريد أن تنظف مثل رئتي، فضغطت بطني .

راقبته يهبط . .

هبط حتى ارتطم باحد الجدران، وتناثر علي بقيتها . .

- ليتك . .

ملأ الصفار عيني . .

أكل الدود كل لحم تبقي . .

اختفت المناظر أمامي . . لكن المنظر الذي كان بداخلي، لاركان الغرفة . .

- قبضتان . .

اندلع لهيب من رأس الكتفين، فزال بعض الصفار . .

لمحت ثعابين يزحفان من داخلي، ويخرجان الى جنبي، الابط الأيسر.

دققت النظـــر . .

صرخت بجنـــون . .

ـ ذراعـان . .

دخلت أمي راكضة الى الغرفة ، يتبعها أبي ، فوجداني أوجه وأنا أضحك ، والدم ينزف من جسمي ، وفراش أخي لم يزل مرتبا ، كما غادر . .

* * *

التقطي الحب من يدي ، ايتها الحمامة . .

من يـــدي ،

فلم أنس متى خرجت هذه الكف ، المشرعة أمامك ، من قلبي . .

تقترب الحمامة . .

تقفز الى يدي . .

تنقرها مرة ، مرتين ثلاث .

أهـز يدي . فتطير . .

اترك مقعدي في الحديقة الفارغة ، واخرج ليسلمني رصيف إلى رصيف ، ولا أكاد أغادر المدينة الباردة . .

وفي الفضاء الأخير ، كانت الحمامـة . . .

لا يكفي أن نقرأ هذه القصة مرة واحدة، لا بد أولا أن نقرأها سريعاً مرة أو مرتين، وفي المرة الثالثة سنتذوق الملكة القصصية التي يتحلى بها الكاتب، يقال إن الشعر هو التلميح أي أن لا يقدم الشاعر قصيدته واضحة كل الوضوح، بل على القارىء أن يكتشف معاني القصيدة من خلال صورها وألفاظها. ولعل كاتب هذه القصة يؤمن بذلك ولكن من حيث القصة فقد بدأ من منتصفها، وراح يعرض أولها ونهايتها معا حتى انتهى من نسج خيوطها ورسم أبعادها.

راوي القصـة له شقيق أكبر منه يهوى ملاحقة الحمام على سطح المنزل، صعد معه مرة لرؤية حمامة معينة، غير أن هذا الشقيق سقط من على سطح المنزل، ومات. وبالطبع يتحدث راوي القصة عن حزنه وذلك من خلال تعامله مع ما حوله من أشياء حزينة، جزئية، كما يذكر أحـلامه وشقيقه في يومه الأخير، وكذلك أحزان أمه وأبيه، وقد ظلت كلمات أخيه لتلك الحمامة الجميلة ترافقه حتى نهاية القصة.

ربما لا يخفي الكاتب خلف هذه القصة فكرة محددة أو هدفاً معيناً، غير أنه رسم صورة هي أقرب للشعر منها الى القصة. . وتبدو لأول وهلة أنها مبهمة، وكلما زدناها قراءة، بدت اللوحة أكثر وضوحاً وتركيزاً.

عني الكـاتب بالحـدث والمشاعر أما الشخصيات والبيئة فدورهما ثانوي ومبهم حتى نهاية القصة. ولكنهما يتركان أثراً واضحاً عند قراءة القصة.

كمـا تختلط في هذه القصة مقوماتها الفنية بشكل غير منطقي، إذ

تمتزج المقدمة بالعقدة بالحل، وكلهم في نسيج واحد. عبارات الكاتب واضحة وموحية، وألفاظه تناسب الشعر أكثر مما تناسب القصة، وهذا ما أضفى على القصة جمالاً شاعرياً.

الفصل الرابع

القصـة الغنائيــة

البند الأول :

اليمامـة

سـعد الدوســـري

١١/ ١/ ١٤٠٦هـ الموافق ٢٥/ ٩/ ١٩٨٥م

الفضاء الأخير لحارس الحمام

التقطي الحب من يدي . . أيتها الحمامة . .

من يـدي . .

فلم أنس متى خرجت هذه الكفُّ، المشرعةُ أمامك، من قلبي . .

● ● ●

واذكر بقايا تلك الليلة التي نمت فيها كي احلم، ليس بالحلوى البعيدة، مثل كل أطفال حارتنا القاسية، لكن، كي ارى فى المنام، أن لي أصابع، كفا، معصما، وساعدا . .

اتذكر الآن . . اني رميت كتفي على سرير أخي، الذي لم يمر على موتــه المفــاجيء سوى ليلة واحـدة، وانني بكيت طويلا، وشعرت بعد نحيب برغبة في الضحك . .

● ● ●

كان أخي يمسكني كل صبـاح من خصري، ويجعلني اصعد سطحه الصغير، سطحه الذي اخفاه عن العيون، ومده للفضاء . .

كان يأخذني من خصري . . ويصعد بي . .

ونقف سويا امام مكعب خشبي صنعه من صناديق، نثرتها تلك الحارات النظيفة . .

كان يقول لي . كل يوم وهو يقف أمام البوابة المفتوحة . .

- لقد خرج الحمام .
- وسوف يـعود؟؟

ثم ينظر الي . كل يوم، دون ساعدين، ودون معصمين، دون

كف ودون أصابع . . ويقول :

- يطير الحمام، ثم يعود، كي يلتقط الحب . .

● ● ●

غمست رأسي في مخدته، بعد أن بللتها عيناي . .

رائحة الريش تنقلني الى سطحه الصغير . .

كيف سقطت يا حارس الحمام؟!

أعرف عينيها . . هذه التي يهذي بها نائما . .

رأيتها ذات صباح عادي، وهي تدير رأسها الناصع نحوه . .

يومها، رقصت معه، وكان منظري مضحكا، وأنا أرقص دون ذراعين . . كنت أنا الذي يضحك، وأنا الذي شجعهُ أن ينتزع من حاجبيه غمامة الحزن من أجلي وأن يضحك . .

ضحكنا حتى غمرنا التعب . .

أمسك خصري، ودخلنا معاً . .

مشينا داخل البيت، ثم صعدنا . .

صعدنا أكثر، ثم كنا هناك . .

مدَّ رقبته، فرآها تقفُ على سطحٍ مجاور . .

لـوِّح لها . .

طلب مني أن اقترب كي أراها، فخفت من هذا الارتفاع . .

شـجَّعني . .

لا تخف . . تعال لتشاهد أجمل حمامة . .

ولم أخف عندما رأيتُها . .

كانت بيضاء، والسواد يغطي رأسها، ومنتصف ظهرها . .

قال لي . .

- لـوِّح لها . .

أغمضت عيني، فتذكّر، وابتسمتُ . .

ضمني من الخلف، وصار يلوِّح بيديه، وهو يخفي رأسه خلف ظهري، فأرخت رأسها لفرحي الطاغي، وحزني الخفي

● ● ●

كنتُ أنام بقربه، وكان يقول لي . .

- ليتها تطير الى سطحي . .
- انثر لها حبًّا، وستجيء . .
- إذن، لم تر رجلها . .
- رأيتُ رأسها فقط، ودُهشتُ لسحر اختلاط السواد مع البياض . .

تنهَّد بحرقة بالغةٍ، وحكى . .

- مددت يدي لها مرة، فنظرت إلى رجلها . . كان الصديدُ ينزفُ من الدائرة الحمراء التي صنعها الحبل على ساقها . .

● ● ●

ضربت أمي وجهها، وصارت تصرخ بكاء مُرًّا، وصار جسدُ أبي ينتفض لحبس الدموع، وصرتُ أقوم وأسقط، أقوم وأسقط، دون أن يمسكني أحد كي أستقيم . .

سألنا عمي . . الذي دخل توّاً، وهو يمسح لحيته الحمراء . .

- هل سقط من هناك . .

وأشار إلى السطح الصغير . .

فزاد بكاء أمي . .

وازداد انتفاض أبي، وألقيت أنا ظهري على الجدار . .

نظرت الى الفضاء، فإذا هو خالٍ . .

● ● ●

كان غريب الطور ذلك الصباح . .

حاولتُ إقناعه أن نبدأ فطورنا، لكنه رفض . .

قلت له . .

- لكنني جائع .

- وأنا . .

وضع كفيه على وجهه، وأضاف . .

- أنا مثلك، أحسُّ الا ذارعين، لي . .

تفجر كلامه في قلبي، فعجزت عن الرد . .

اجبرت ترددي، وقلت . .

- لكنهما هنا . . انظر اليهما . . انظر اليهما جيداً . . ذراعان كاملان، كاملان والله . .

- لكني لا أشعرُ بهما . .

رفع كفيه عن وجهه فجأة، وجاء باتجاهي . .

أمسكني من خصري، ودفعني إلى السطح . .

رأيته يرفع سقف المكعب الخشبي ويرميه جانباً . .

جلس بجانبي، وصار ينظرُ مزيحاً وجهه عني، باتجاه السطح المجاور . .

قلت كي أكسر صمته . .

- لن يدخل الحمام إلى هنا، دون سقف . . .

- لم يجب . .

قفز فجأة . .

رفعت رأسي إليه، فوجدته يضحك . ويلوح بكلتا يديه . .

أحسست في نفس اللحظة أنني اسمع تنفساً غريبا، تنفساً واضحاً لشخصه .

ازداد هذا الصوت، وهو لم يزل يلوح ويضحك . .

شعرت بأنه ليس لشخص واحد، بل لأشخاص .

تلفت حولي خائفا . .

صرخـــت . .

- هناك من يراقبك ، اخفض رأسك . .

لكنه لم يكن يســمعني . .

صرخت مرة أخـرى . .

- اخفـض رأسـك .

أسندت ظهري إلى الخشب القائم إلى جانبي . . قمت على ركبتي . ثم على قدميَّ . .

وضعت أذني على الجــدار المشتـرك بين سطحنـا والسـطح المجـاور. فاكتشفت انه هو الذي يتنفس . . ثم اكتشفت ان كل الجدران تتنفس بصوت واحد ومخيف . .

- الجـدران ، الجـدران تراقبـك .

رأيته يحمل في كفيه حبا كثيراً، ثم يضعه على الجدار المشترك . .

صعد . . التقط الحب مرة أخرى داخل كفيه وصار يمشي على الحافة . .

أحسست أن الجدران صارت تتنفس بشكل أكبر. ومع كل شهيق وزفير، صارت تتحرك . .

وفي اللحـظة التي مدت رأسهـا النـاصـع له ، زفرت الجدران بصوت متحد ، فانتفخا معا . .

شاهدته يهوي إلى الأرض البعيدة . .وسمعت هديلا مخنوقاً . . اخرسه الشهيق الأخير لفواصل الطين المتآكلة . .

● ● ●

لم تمض سوى ليلة واحدة .

كانت مرارة الوقت دخانا يخنقني ، وكانت أركان الغرفة الضيقة .

تنشق كل لحظة ليخرج رحمها ريش متعفن، يسقط على وجهي، فلا أجد من ينفضه . .

كنت أنفخ، فيخرج الهواء من رئتي حامضا وضعيفاً .

- ليتك سمعتني . . فلقد رأيتهم، رأيتهم يخرجون من الطين أجساداً برؤوس مشقوقة الى نصفين. والغبار يملأ جماجمهم الفارغة . . ليتك سمعتني. فلقد كانوا يدفعون اياديهم المتفحمة نحوك . . كانت أوردتهم الجافة خارج جلود أياديهم، وكانوا يدفعونها نحوك . . .

نفخت، ونفخت، لكن الأركان لا تزال تلد، والغرفة صارت مملكة من ريش ينزُّ دوداً . . .

أحسست ان هذا الدود يزحف باتجاه عربي . .

وكانت أمي قد دفعتني الى الماء بعد أن خلعت كل ثيابي. وتركتني . .

انتظرتها فلم تعد . . سحبت الباب الخشبي برجلي، وخرجت الى الغرفة . . تمددت وجلدي لا يزال رطبا . .

- لا تقترب ايها الدود، لقد فقد العاجز أخاه، فلا تقترب .

غطى الدود جلدي . وشعرت بدمي يتفجر الى الخارج .

انقلبت، فسقطت مجموعة كانت تمتص نصفي السلفي حاولت أن أقوم . ففشلت . .

صار الدود الملتصق بكتفي ينهش بقوة . .

صحت، فلم يجبني أحد . .

أوشك دمي على الانتهاء، فدخلت في شبه صفارٍ، لكني لم أزل أشعر بالدود يعض لحمي .

نظرت إلى الأركان، فرأيتها تنظر إليَّ بعينين يملؤها الغباء والعور. .

تمنيت في تلك اللحظة . أن لي قبضتين كي أسددهما لتلك الوحوش التي هي الدود . .

- لو سمعتني، ما استطاعت هذه الجدران أن تكبر. ولجعلتها مدرجاً لحماماتك الطليقة دوماً . .

ازداد الصفارُ، فتحول دخان الغرفة الى شاشة رأيت فيها حمامته . . رأيتها تنتفض، وهي تراقبه يهوي . . وشاهدتُ، لأول مرة، الحبل يحيط ساقها العارية . .

لمحتُ نفسي أقف على الجدار، وقد صار لي جناحان كبيران . .

طـرتُ . .

طـرتُ أعلـى . .

ملأني الفضاء برائحة لم أشـمَّها من قبل . . رائحة عطرية، لم أشمها من قبل . .

طـرُت أعلى . .

اندهشت كيف تنفصل البيوت عن بعضها، والحارة علبة صغيرة . .

بدا لي أن أمعائي تريد أن تنظف مثل رئتي، فضغطت بطني، وأخرجت الوسخ . .

راقبته يهبـط . .

هبط حتى ارتطم بأحد الجدران، وتناثر على بقيتها . .

- ليتـك . .

ملأ الضفار عيني . .

أكل الدود كل لحم كتفيَّ . .

اختفت المناظرُ أمامي، لكن المنظر الذي كان بداخلي، لأركان الغرفة، استـمر . .

- قبضـــتان . .

اندلع لهيب من رأس الكتفين، فزال بعض الصفار . .

لمحت ثعبـانين يزحفـان من داخلي، ويخـرجان إلى جنبي، الأيمن والأيسر . .

دققتُ النظر .

صرخت بجنون . .

ذراعـــان . .

دخلت أمي راكضـة الى الغـرفة، يتبعها أبي، فوجدوني أوجه اللكمـات للجـدران الأربعة، وأنا أضحكُ، والدم ينزف من بين أصابعي، وفراش أخي لم يزل مرتباً، كما غادره آخر مرة . .

● ● ●

التقطي الحب من يدي، أيتها الحمامة . .

من يـــدي،

فلم أنس متى خرجت هذه الكـفُّ، المشرعةُ أمامك، من قلبي . .

تقترب الحمـامة . .

تقفـزُ الي يدي . .

تنقرها مرة، مرتين، ثلاثا . .

أهـزُّ يدي، فتطير . .

أتركُ مقعدي في الحديقة الفارغة، وأخرج ليسلمني رصيف إلى رصيف، وليأكلني أسمنت المدينة الباردة . .

وفي الفضاء الأخير . . كانت الحمامة . .

هذه القصة نشرتها جريدة «اليوم» بتاريخ (١/١/١٤٠٦هـ) كما مر معنا في الفصل الثالث في البند الثالث من هذا الجزء، وقد أعادت نشرها مجلة «اليمامة» غير أن ترتيب القصة كان مغايراً تماماً وقد أوضحت «اليمامة» أن هذه القصة قد أُعدت للمجلة لتقوم بنشرها، غير أن «اليوم» قد سبقتها لسبب ما وغاية ما، ولم تراع «اليوم» ما أراد الكاتب، فخلطت مقومات القصة. وجعلت عاليها سافلها، في حين أن الكاتب قد جرى منطقياً وبأسلوب سهل ممتع في سرد أحداث قصته ومشاعر أبطاله، ولا يحتاج القارىء، كما كنت قد ذكرت سابقاً إلى مهمة اكتشاف المعاني المبهمة في القصة.

وقد قمت بنقل القصة في هذا الكتاب كما جاءت في كل من «اليوم» و «اليمامة» لبيان ما يحدثه النشر الصحفي السريع، حين يكون السباق هو الهدف وفي الدرجة الأولى، والأدب مهمل في الدرجة الثانية.

وتُصور القصة بصورة وجدانية ذاتية أحزان بطل قصته، وتتماوج أحداث القصة بأسلوب غنائي، أي تذهب مذهب الشعر الغنائي في الأدب، إذ لا يخفي الكاتب فكرة معينة، بل يريد الغوص في وجداننا بصورة غنائية ذاتية.

فسح وزارة الأعـلام
بالمملكة العربية السعودية
رقم ٥١٩/م/ج
تاريخ ١١/٣/١٤٠٦هـ

هذا الكـتاب

- جمع ونقد وتصنيف لما نشرته الصحف السعودية للأدباء السعوديين .
- يتألف الكتاب من :

ـ الجزء الأول : الشعر (يحتوي على مقدمة في الأدب والصحافة) .

ـ الجزء الثاني : القصة القصيرة .

ـ الجزء الثالث : المقـــال .

الافراج الفني
للدعاية والإعلان
ADVERTISING
ت : ٦٧١٣٩٧٦ ص.ب : ٨٣٢٣ - جدة ٢١٤٨٢
Tel: 6713976 P.O. Box: 8323 Jeddah 214482